عقبات في طريق الزواج

● الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

ما زلنا نتحدث في محيط الشباب والفتيات، ومشكلات هذا الجيل، الذي منّ الله عليه بنعم كثيرة، ومع هذا يعاني مشكلات كثيرة.

ما زلنا في مشكلات هذا الجيل من الشباب والفتيات، ومن هذه المشكلات ما يتعلق بالزواج، الذي أصبح الآن ـ بما أدخله الناس من تعقيدات في حياتهم ـ عبئاً على الظهور، يسره الله تعالى فعسره الناس، وبسطه الشرع فعقده المجتمع، ووسعه الخالق فحجره الخلق.

الزواج في نظر الإِسلام قربة وشريعة، وسنة وربما وصلت إلى الفريضة:

شرع الله الزواج ولم يشرع في الإِسلام الرهبانية، لا رهبانية في هذا الدين ليس في هذا الدين اعتزال للحياة، وانصراف عن المرأة واعتبارها وسيلة الشيطان كما كان في أديان أخرى، حيث كان الرجل يعتبر المرأة نجساً، ويفر منها حتى لو كانت أخته أو أمه، كما كان يصنع الرهبان في أوروبا في العصور الوسطى[1]، ليس في الإِسلام هذا.

لقد تزوج رسول الله ﷺ، وتزوج أصحابه، حتى قال من قال منهم: لو لم يبق من عمري إلاّ عشرة أيام، لتزوجت فيها حتى لا ألقى الله عزباً.

---

(١) انظر في ذلك ما نقله العلامة أبو الحسن الندوى في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) عن عجائب الرهبان في العصور الوسطى.

الزواج فطرة: لا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده، لما خلق الله آدم خلق له زوجة، وقال له: ﴿... ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ...﴾ [البقرة: ٣٥] فلا معنى إذا عاش الرجل فيها بغير أنيس، بغير من يسكن إليه، ولهذا خلق الله آدم زوجة ليسكن إليها.

بل الزواج فطرة من فطر الكون كله، ليس هناك شيء إلاّ وله زوج، إلاّ وله مكمل، سواء كان هذا في الحيوانات أم في النباتات أم حتى في الجمادات، في الكهرباء، نرى الموجب والسالب، بل في الذرة، العلم الحديث يقول لنا: إن في الذرة التي هي الوحدة الصغيرة لبناء هذا الكون، فيها شحنة موجبة وشحنة سالبة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩].

وإذا كان هذا هو نظام الكون، وفطرة الكون، فلا يبقى للإنسان أن يشذّ عن النظام الكوني، وعن فطرة الطبيعة، فلا بد أن يبحث عن إلفه، وعن أنيسه، وعن زوجه.

ومن أسرار التعبير في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، أن كلا من المرأة والرجل إذا تزوجا يسمى كل منهما: زوجاً، وكلمة (زوج) تعني: (اثنين)، كأن كلا منهما يحمل في ضميره الآخر، كأن كلا منهما في ظاهره فرد، وفي حقيقته زوج.

الزوجية فطرة إنسانية، وفطرة كونية:

ومن هنا حث الإسلام على الزواج، حتى يبقى به هذا النوع، وتستمر عمارة الحياة بهذا النوع المكرم كما أراد الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً...﴾ [النحل: ٧٢]، وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم

القيامة»[1].

الزواج من أسباب التناسل: الذي يبقى به هذا النوع، لا بقاء للنوع بغير هذا الزواج، ولهذا لا يرى الإسلام تلك النظرة التشاؤمية التي كانت عند بعض الفلاسفة، وبعض الأديان التي تنظر إلى الحياة على أنها شر، وإلى هذا العالم على أنه عالم عذاب وويلات، وينبغي أن يتخلص الناس من هذا العالم بقطع النسل فلا يتزوجوا، وإذا تزوجوا لا ينجبوا وهكذا.

الإسلام ضد هذه النظرة التشاؤمية، ويرى أن هذه الحياة خير، أرادها الله أن تعمر وأن تستمر، ولهذا على الناس أن يتزوجوا، ويتزوجوا الودود الولود[2].

الزواج كذلك أساس لتكوين الأسرة، تلك التي تتربى فيها المشاعر... المشاعر الطيبة، العواطف الإنسانية النبيلة، عواطف الأبوة والأمومة والبنوة والأخوة والرحم، عواطف المحبة والتعاطف، في ظل الأسرة تتكون هذه المشاعر والذي يكون الأسرة هو الزواج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ...﴾ [النساء: ١].

في ظل الأسرة يوجد السكون والمودة والرحمة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] آية من آيات الله مثل خلق السموات والأرض، مثل الآيات الكبرى في هذا الكون،

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن (٤/ ٢٥٨).

(٢) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال، إلاّ أنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال له: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم» رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٥٣، الحديث ١١٠٧).

أن ينضم رجل إلى امرأة، وتنضم امرأة إلى رجل، ويتكون منهما النواة الأولى والخلية الأولى لهذا المجتمع.

ثم بعد ذلك تتسع الدائرة... دائرة المودة، ودائرة المحبة والألفة والتناصر والتعاون بالمصاهرة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٥٤].

الزواج كذلك حماية للإنسان من السقوط الغريزي، ركب الله في الإنسان غريزة، هي سوط يسوقه إلى بقاء النوع، وهذه الغريزة المركبة لحكمة إلهية، لم يأت الإسلام بمصادرتها، فلم يأت الإسلام بما يستأصل الفطرة والغرائز، بل بما يهذبها ويكملها ويسمو بها.

لهذا لم يسر مع أولئك الذين حرموا أي تصريف للغريزة، واعتبروها رجساً من عمل الشيطان، ونظروا إليها نظرة استقذار، ولم يطلق لها العنان كما فعل أولئك البهيميون، الذين يعتبرون الإنسان والحيوان شيئاً واحداً، وليس عندهم حلال ولا حرام، إنما وقف موقفاً وسطاً، فحرم السفاح وأباح النكاح، جعل هناك مصرفاً شرعياً لهذه الغريزة بالزواج، لا حرج على الإنسان أن يستمتع بهذه الغريزة في حدود ما أحل الله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] لا حرج على الإنسان في ذلك.

لم يضق الشرع في هذا، بل أباح ووسع، ونادى النبي ﷺ الشباب عامة، فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[1].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، واللفظ لهما، أبو داود، والترمذي، والنسائي، والباءة في اللغة: الجماع، والمراد بها هنا: ما يلزمه من القدرة على مؤنه ونفقاته، والوجاء: رض الخصيتين، والمراد: أنه يضعف الشهوة الجنسية، وذلك إذا داوم عليه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٤٩ ـ ٥٥٠، الحديث ١٠٩٥).

الزواج أغضّ للبصر وأحصن للفرج:

هكذا دعا الإسلام إلى الزواج. وهكذا استجاب المسلمون والأوائل لهذه الدعوة، فيسروا وسهلوا، وكانت أمور الزواج من أسهل ما يكون، ولكن الناس بعد ذلك، وفي عصرنا خاصة، عسروا ما يسر الله، وضيقوا ما وسع الله، شددوا على أنفسهم ولم يشدد الله عليهم، حتى رأينا العزوبة عند الشبان، والعنوسة عند الفتيات، نرى شاباً بلغ الثلاثين من عمره ولم يتزوج، ونرى فتاة بلغت الثلاثين ولم تتزوج، ولعلها لا تتزوج بعد ذلك، حينما يقول الناس: فاتها القطار.

لم هذا كله؟ ما الذي حدث؟ ما دام هناك رجال ونساء، فتيان وفتيات، فلماذا لا يتزوج هؤلاء من هؤلاء؟.

رأيت في الجامعة ـ وأنا أدرس للطالبات ـ أعداداً غفيرة من الفتيات غير متزوجات، ولا ينقصهن والله الجمال، ولا ينقصهن النسب، ولا ينقصهن الأدب، ولا ينقصهن الدين، ولا تنقصهن الثقافة، لماذا لا تتزوج هؤلاء الفتيات؟ ما المشكلة؟.

المشكلة نحن الذين خلقناها، نرجع إلى أسباب هذا فنجد الناس قد وضعوا عقبات كثيرة في سبيل الزواج.

هناك: عقبات مادية، عقبات اجتماعية، عقبات نفسية.

هناك عقبات مادية: لا يستطيع الشاب أن يتزوج إلاّ أن يكون الشاب صاحب مال، ومال وفير، فالشاب المتخرج الذي يقف على أول السلم، لا يستطيع أن يوفر ما يطلب منه، وما يطلب منه كثير، من الذي صنع هذا الكثير؟ الشرع لم يصنعه، إنه في حاجة إلى مهر يدفعه، والناس يغالون في المهور، ويتباهون بها، المفاخرة والمكاثرة، والرياء الاجتماعي الزائف، بنت فلان دفع إليها كذا، وهذه بذل لها كذا، كأن هذا أصبح مقياس القيمة للإنسان، أو الدخول في الجنة، ما قيمة هذا كله؟! وفي الحديث الشريف: «خير الصداق

أيسره»[1]، «من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»[2]. وقد خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابة يوماً فقال: «ألا لا تغلوا صدق النساء، ألا لا تغلوا صدق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله امرأة من نسائه، ولا أصدق امراة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية»[3]، والأوقية ـ أربعين درهماً.

أجل، لم يزوج النبي ﷺ بناته على شيء كثير، فاطمة بنت محمد ﷺ، سيدة نساء العالمين، تزوجت على ماذا؟ على درع قدمها إليها علي بن أبي طالب! وماذا تصنع فاطمة الزهراء بالدرع؟! هل تحارب بها؟ إنها شيء رمزي.

سعيد بن المسيب سيد التابعين وأفقههم كما يقول أحمد بن حنبل يرفض أن يزوج ابنته من ابن الخليفة[4]، ويزوجها لأحد طلاب العلم في حلقته، قال له: يا ابن أبي وداعة، ماذا عندك؟ قال: والله ما عندي إلاّ درهم، قال: قد زوجتك ابنتي بدرهم!.

نعم، زوجه ابنته بدرهم. لأنه كمان يريد لها رجلاً صالحاً لم يكن الناس يتباهون بما يتباهى به الناس الآن، لم هذا؟.

وليت الأمر يقف عند المهر وغلائه، إنه في حاجة إلى هدايا، في حاجة

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم عن عقبة بن عامر، كما في الصحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٢٧٩).

(٢) أورده الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٥٥) وقال: رواه أحمد وفيه أسامة بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه أحمد في مسند عمر بأرقام (٢٨٥) و(٢٨٧) و(٣٤٠) وقال الشيخ شاكر: بإسناده صحيح كما رواه أبو داود (٢١٠٦)، والنسائي (٦/ ١١٧)، والترمذي وقال: حسن صحيح (١١١٤)، والحاكم وصححه (٢/ ١٧٥، ١٧٦).

(٤) هو عبد الملك بن مروان، خطبها لابنه الوليد حين ولاه العهد.

إلى ذهب يقدمه.

بعض البلاد هناك (شبكة) أو (تلبيسة)، وبعض البلاد هناك ذهب... مصوغات تقدم، معظمها أشياء لا تلبس. لأنها بأحجام كبيرة، وأوزان ثقيلة، وأشكال قديمة، لا تلائم ذوق هذا العصر، حتى إنه قد كثرت على الأسئلة عن هذا الحلي: هل يزكى أو لا يزكى؟ لأن المرأة لا تلبسه إلاّ للتباهي فقط، هو شيء لا يلبس، ولكن تتباهى بأن عندها الشيء الكثير قدم لها في عرسها، لم هذا؟ لماذا نضيق على أنفسنا ونشدد؟.

الأحفال والولائم التي تقام للعرس، وقبل العرس، وبعد العرس، وتذبح فيها الذبائح، ويؤكل قليلها، ويلقى في سلات المهملات و(الدرامات) كثيرها، وبلاد أخرى تتضور من الجوع فلا تجد اللقمة، لم هذا؟ شدد الناس على أنفسهم، تراهم يقيمون حفلاً للخطبة، وحفلاً لعقد القران، وحفلاً للزفاف، ما هذا كله يا عباد الله؟!.

ثم بعد ذلك يأتي البيت، لا بد من أن تكون هناك شقة مفروشة بأحدث الأثاث، أو (فيلا)، أو ما شابه ذلك.

ثم بدعة جديدة اخترعها الناس بعد الزواج: ما سموه (شهر العسل) والسفر إلى الخارج لقضاء شهر العسل! تكاليف جديدة أضافها الناس، هي في النهاية آصار وأغلال في أعناقهم، وعقبات في طريقهم.

كل هذا يعقد الأمور، ويزيد من صعوبتها، وما طلب الله منا ذلك، ولا كلفنا الشرع ذلك، نحن الذين شددنا على أنفسنا، ولهذا ينتظر الشاب حتى يمكنه أن يوفر ما يطلب منه، وربما استدان، والدين هم بالليل، ومذلة بالنهار، أو ربما ذهب إلى البنك يستقرض منه بالربا فيأذن من أول زواجه بحرب من الله ورسوله، لم هذا؟ عقبات نحن الذين أنشأناها ووضعناها، عقبات مادية لا معنى لها.

عقبات اجتماعية: هناك اعتبارات عند كثير من الناس... يتقدم إليهم

obeikandi.com

الشاب فيرفضونه، لم هذا؟ هذا لأنه من أسرة دون الأسرة، أو طبقة دون الطبقة، أو كذا وكذا، معايير ما أنزل الله بها من سلطان.

إن لكل عصر معاييره، هناك من الفقهاء من قال بالكفاءة في النسب والحسب والحرفة وغير ذلك، ولكن هناك من رفض هذا كله وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، المقياس هو الدين والخلق، والنبي ﷺ يقول: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إن لا تفعلوا، تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[١] وكانوا يقولون: (إذا زوجت ابنتك فزوجها ذا دين، إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها) لأنه يخاف الله فيها، فهو يعاشرها بمعروف أو يسرحها بإحسان، ولا ينس الفضل فيما سبق.

هذا هو الإنسان المؤمن، هذا هو الذي ينبغي أن يحرص عليه.

والذين قالوا بالكفاءة من الفقهاء، قالوا: إن العالم كفء لبنت السلطان؛ لأن العلم يرفع صاحبه، ويعلي من قدره. لأنه إذا وقف الأمر عند الحسب والنسب، معنى هذا أننا أصبحنا طبقات كطبقات الهنود، لا يستطيع أحد أن يرتقي من طبقة إلى طبقة والإسلام يرفض ذلك.

يستطيع الإنسان بعلمه وعمله أن يرتقي إلى أعلى الدرجات في المجتمع المسلم، وهذا ما رأيناه منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم.

كان عطاء بن أبي رباح الفقيه التابعي رجلاً أسود اللون، أفطس الأنف، أعرج الرجل، قصير القامة، ولكنه جلس بجوار سليمان بن عبد الملك[٢] في الحج، يفتي الناس في المناسك، قالوا: إنما رفعه العلم.

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجة، والحاكم، عن أبي هريرة، ورواه ابن عدي عن ابن عمر، ورواه الترمذي أيضاً، والبيهقي في السنن، عن أبي حاتم المزني، ورمز له السيوطي في (الجامع الصغير) بالصحة.

(٢) هو أحد كبار خلفاء بني أمية، أخرج الخلافة من أولاده وعهد بها للخليفة الزاهد عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه.

العلم أجلسه بجوار الخلفاء:

والعلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

ينبغي أن نعيد النظر في معاييرنا، فالمهم هو سعادة بناتنا وأبنائنا لا يجوز أن نتحجر على مقاييس قديمة، فالزمن يتغير، والحياة تتطور، والأنظار تختلف، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ [أي زوجوهم] وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

لا بد لنا من هذه النظرة، حتى لا تقف هذه المعايير أحجار عثرة في سبيل حياة سعيدة لأبنائنا وبناتنا.

هناك عوامل نفسية عند بعض الشباب، وعند بعض الفتيات أنفسهن:

بعض الفتيان يضع أمام عينيه مثالاً يحلق في خياله، يرسم امرأة مثالية يريدها زوجة له، موصوفة بكل جمال وكمال، وهذا لا يوجد في واقع الحياة.

الحياة قلما نجد فيها الكمال المطلق، فامرأة عندها الجمال، وأخرى عندها المال، وأخرى عندها النسب، أما أن يوجد فيها كل شيء، فقلما يجتمع فيها هذا.

ولذلك أوصانا النبي ﷺ فقال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1]، «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[2]، صاحبة الدين هي التي تسرك إذا نظرت، وتطيعك إذا

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٥٢، الحديث ١١٠٦)، وقوله: «تربت يداك» معناه: الحث والتحريض، وقيل: هو دعاء له بكثرة المال، أي: اظفر بذات الدين، ولا تلتفت إلى المال، أكثر الله مالك.

(٢) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن ابن عمر، ومسلم أيضاً، عن ابن عمر، كما في صحيح الجامع الصغير (٣٤١٣).

أمرت، وتحفظك إذا غبت، وتخاف الله في عرضك وولدك ومالك: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

وكثير من الذين يحلقون وراء هذه الأحلام والمثاليات، قلما يحققون ما ينشدون.

أعرف قريباً لي، كان يريد فيمن يتزوجها أن تكون موصوفة بالحسن والجمال، بل رائعة الحسن والجمال، كثيرة الغنى والمال، ذات حسب ونسب، ذات علم وثقافة، ولكنه للأسف حينما تزوج، تزوج امرأة ليس فيها شرط واحد من هذه الشروط، مع أنه عاش سنين طويلة يبحث عن مثاله الخيالي.

● لا داعي لهذه الخيالات والمبالغات:

على الشاب أن يبحث عن ذات الدين، عن المرأة الصالحة التي تحفظه وتصونه، ويستطيع أن يعيش معها حياة سعيدة، لا يهمه أن تكون فقيرة في المال، إذا كانت غنية بالأخلاق، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: «تزوجوا النساء يأتينكم بالأموال»(١).

بعض الشباب يتشددون في أمور لم يشدد فيها الشرع، كأن يقول: إنني لا أريد فتاة تعمل، ولا حرج في العمل.

لا حرج أن تعمل الفتاة في أمر مباح، كأن تعمل مدرسة في مدارس البنات، أو تعمل طبيبة في مكان ليس فيه اختلاط ممنوع، مثل هذا لا مانع منه(٢).

---

(١) قال الهيثمي (٤/ ٢٥٥) رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا مسلم بن جياد - ولعله جنادة - وهو ثقة.

(٢) راجع فتوى الشيخ القرضاوي: (عمل المرأة) في الجزء الثاني من (فتاوى معاصر) ص ٣٠٣ - ٣٠٦.

لماذا يتشدد بعض الشباب أكثر مما يلزم، وقد قصّ علينا القرآن قصة تلك الفتاتين اللتين رآهما موسى عند ماء مدين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا...﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٤] كانتا ترعيان الغنم، وتذهبان بها إلى حياض المياه؛ لأن أباهما شيخ كبير، ولا بد للأسرة أن تعيش، الحياة تحتاج إلى معاونة.

بعض الشباب يخاف من الفتاة المثقفة، ويقول: لا أتزوج فتاة جامعية، لماذا؟ لا يخاف من الجامعية إلا أحد اثنين: إما شاب ضعيف الشخصية، يخاف من هذه المثقفة المتعلمة أن تحدثه وتسائله، ولا تكون كما مهملاً في البيت، وإما شاب يريد أن ينحرف فهو يريد المرأة التي لا تستطيع أن تحاسبه، ولا أن تقيد عليه حركاته وسكناته.

أما الشاب المستقيم، الشاب القوي، فلا يضيره أبداً أن يتزوج المتعلمة، بل المتعلمة تنفع زوجة، وتنفع أماً، تكون نعم المربي لأولادها وبناتها، وتستطيع أن تساعدهم في مدارسهم، وفي أداء واجباتهم المدرسية والمنزلية.

هناك عقبات نفسية عند الشباب، وعند الفتيات أيضاً:

بعض الفتيات أيضاً يحلقن، يرون فارس أحلام بأوصاف غير معقولة، وقلما يأتي هذا، وبعض الفتيات تشترطن أن يكون لهن كذا وكذا، وتريد سيارة (مرسيدس ٢٨٠)، و(فيلا): موصوفة بكذا وكذا، وأثاث كذا وكذا، وخادم كذا وكذا، ما هذا؟.

إن فاطمة بنت محمد ﷺ، تزوجت علي بن أبي طالب، ولم يكن في بيتها موقد كهربائي، ولا غسالة أتوماتيكية، ولا مكنسة كهربائية، كانت تكنس البيت بيديها، كانت تدير الرحا بيديها فما كانت عندهم مطاحن، كانوا يأخذون الشعير ويطحنونه على الرحا، حتى يصبح دقيقاً خشناً، فتأخذه وتعجنه وتخبزه، وكانت تحمل قربة الماء على كتفها، حتى أثر ذلك في يديها، وذهبت هي وزوجها إلى النبي ﷺ يشكوان، يريدان خادماً، فقال النبي ﷺ لهما: «ألا أدلكما على ما هو

obeikandi.com

خير من خادم»؟ قالا: بلى يا رسول الله، قال: «عندما تأويان إلى النوم تسبحان الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدانه ثلاثاً وثلاثين، وتكبرانه أربعاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم»[1]، نصحهما أن يستعينا على هذا التعب والمعاناة بالقوة الروحية، بذكر الله عز وجل، ولم يعطهما الخادم.

لماذا تريد المسلمة حياة الرفاهية؟ ما أجمل أن تكون معواناً لزوجها، وأن تعمل في بيتها، وأن تكافح معه حتى يرتقي السلم إلى أعلى درجاته.

لماذا تريد إنساناً ـ من أول الأمر ـ غنياً ذا مال؟ والله أعلم هذا المال من حلال أو من حرام؟.

لتبدأ درجات السلم من أوله مع فتى أحلامها، مع زوجها هذا، وتعيش حياة كفاح وعناء، كما عاشت نساء المسلمين في الزمن الأول: فاطمة الزهراء، وأسماء ذات النطاقين، وغيرهما من نساء الصحابة[2].

يا أيها الإخوة، ويا أيتها الأخوات...

هذا هو ديننا، ديننا جاء بالتيسير، فما لنا نلجأ إلى التعسير؟ ديننا جاء بالتوسيع، فلماذا نلجأ إلى التضييق؟ ديننا خفف عنا، فلماذا نشدد على أنفسنا؟.

علينا أن ندرك هذا، ونعلم أبناءنا وبناتنا هذا، حتى نحل تلك العقدة، وحتى يتزوج الشبان والشابات، بدل أن يلجأ الشباب إلى طرق تعرفونها، يجدون الحرام فيها ميسراً هنا وهنالك، أو بدل أن يلجأ إلى الزواج من أجنبية، ويدع ابنة بلده، وأقرب الناس إليه.

هذا هو الإسلام، فإذا أردنا الخير كل الخير، والسعادة كل السعادة فلا بد

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن علي رضي الله عنه، انظر (اللؤلؤ والمرجان، حديث ١٧٣٩).

(٢) انظر كتاب (نساء مؤمنات) للأستاذ القرضاوي.

أن نرجع إلى هذا الدين، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● الخطبة الثانية:

أما بعد: فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. اللهم آمين، وأقم الصلاة.

obeikandl.com